بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: ٩١ **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ: ٠٨/ ١٠/٢٠٢٤م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الكلام في الآية الخامسة والعشرين ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾.

تكلمنا في البحث السابق قليلاً عن الذكر، نتابع اليوم في بعض شؤونات هذه المفردة.

الذكر عند علماء الأخلاق والمعنى ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الذكر اللساني.

الثاني: الذكر القلبي.

الثالث: الذكر اللساني والقلبي.

ثبت لدينا بمقتضى النصوص التي استعرضت بعضها في البحث السابق، أن الذكر اللساني لوحده ليس له مزيد اعتبار، بل لا بد أن يكون الذكر الجاري على اللسان نابعاً من القلب والمعرفة والإحساس والشعور، هذا يكون أرفع مقامات الذكر. ولأجل ذلك ورد في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم﴾[1] أما الذكر الذي لا يتعدى اللسان قلنا سابقاً الواحد قد يكون وهو في حال المعصية يذكر الله. التقيت بأحد الأخوة فقال: نحن الشعب الفلاني نحن ونسرق نقول الحمد لله. فهذا الذكر لا قيمة له.

الذكر هو باب الطاعة، والغفلة هي باب المعصية، فلا يكون هذا الذكر باباً للطاعة إلا إذا تأثرت به الجوانح والجوارح معاً.

ولذا ورد في الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (الذِّكْرُ مُجَالَسَةُ الْمَحْبُوبِ)[2] ومعنى مجالسة المحبوب يعني أن يكون المحبوب حاضراً، أن أشعر أني في محضر الله سبحانه وتعالى، هذا الذكر الذي يورثني

---

[1] الأنفال: ٢

٢ عيون الحكم و المواعظ (الليثي)، ص: ٦٢

الإحساس بالرقابة، والذي في الوقت المناسب يجعلني استعصم عن الذنب، وهذا الذكر هو برهان الله سبحانه وتعالى الذي يعصم الأنبياء والأوصياء والأولياء عن معصية الله تبارك وتعالى.

كذلك قسم العلماء ما يقابل الذكر، أعني الغفلة، إلى قسمين:

القسم الأول: غفلة عن نسيان، وهذه تحصل حتى لأهل الإيمان، لا يلتفت إلى أن هذا الفعل هو معصية فيرتكبه، أو أن هذا العمل يزعج المحبوب فيقوم به، وهذا أشبه ما يكون وما يسمى في علم المنطق بالجهل البسيط.

هذا قد يحصل لأهل الإيمان إلا من عصمه الله سبحانه وتعالى، وفرقنا عن المعصوم عليه السلام في هذه المسألة في هذه النقطة، أن المعصوم عليه السلام لا تعرض عليه هذه الغفلة، بينما نحن تعرض علينا هذه الغفلة.

القسم الثاني: الغفلة مع الاستحضار، وهذه هي الغفلة الخطيرة، أعرف أن هذه معصية، وأعرف أن الله تعالى يعاقب عليها، إذاً أين غفلتي؟ هنا غفلت عن قَدْرِ الله سبحانه وتعالى، عن عظمته، عن غضبه وانتقامه، وإلا لو كنت مستحضراً لذلك استحضاراً حقيقاً لا أقدم على هذا العمل.

في بعض الكلمات، ويستفاد من بعض الأخبار، أن الذكرى هو رأس الشكر، أي إذا أراد الإنسان أن يكون شاكراً لأنعم الله تبارك وتعالى لا بد أن يكون ذاكراً مستحضراً ولا يغفل عن حمد المنعم وعن نعمة المنعم. هذا معنى (ما رأيت شيئا إلّا ورأيت اللّه قبله)[٣] وفيه وبعده كما في المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام.

في نكتة أخيرة نقف عندها فيما يرتبط بالذكر: عند الكثير من الناس يطلبون معرفة الأذكار، تلاحظ ذلك حتى عند طلاب العلوم الدينية عندما يلتقون بعالم جليل وعالم أخلاقي وإنسان ورع، فيطلبون منهم أن يعلمهم ذكراً، وهذا الشائع في مجتمعاتنا، ولا خصوصية لهذا الزمن في ذلك، بل هو منذ القديم موجود، حتى في زمن الأئمة عليهم السلام، فعندنا مجموعة من الروايات، بل كان الأئمة عليهم السلام وكان المعصومون عليهم السلام بشكل عام يعلمون بعض الأصحاب بعض الأذكار ابتداء ولو من دوني سؤال.

هناك رواية مشهورة مروية عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله مع قطع النظر عن سندها، فإن مضمونها يوافق العقل والمنطق، ننقلها بالمضمون: (أن هناك أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وطلب منه أن يعلمه ذكراً،

[٣] شرح الكافي-الأصول و الروضة (للمولى صالح المازندراني)، ج٣، ص: ١٠٨

فقال له النبي ﷺ كرر هذا الشيء، قل اللهم أنت ربي وأنا عبدك [هذا ذكر الإقرار، إقرار بالربوبية وإقرار بالربوبية] فخرج هذا الأعرابي من عند رسول الله ﷺ وهو يقول اللهم أنت عبدي وأنا ربك، فبعض الصحابة الجلفين مباشرة وضع يده على مقبض سيفه، فقال له النبي ﷺ مهلاً، فهذا رجل أميّ، فهو يقصد أن يذكر الله سبحانه وتعالى، وهذا له أثر عند الله سبحانه وتعالى)[٤].

فهذا كان شائعاً منذ القديم وما زال في وقتنا الحاضر، وخصوصاً عند نزول البلاءات والمحن والمصائب على الناس، يتقربون أكثر إلى ذكر الله وإلى الالتزام بالأوراد والأذكار وما شابه.

فهل كل ذكر يقال؟

باستعراض مجموعة والنظر إلى الأخبار، الذكر لا بد أن يؤخذ من مختص، والمختص الأول هم باب علم الله سبحانه وتعالى، هم أولياء الله، الذكر الحقيقي يؤخذ منهم لا من غيرهم، من النبي الأعظم ﷺ من أهل البيت عليهم السلام، هذا بالدرجة الأولى.

وورد في بعض الأخبار تعليمات محددة لبعض الأمور ولبعض المشاكل، مثلاً في عدة روايات رجل جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام وشكى له قلة المال والولد، فطلب منه أن يعلمه شيئاً، والظاهر أن المقصود أن يعلمه ذكراً، والإمام عليه السلام قال له: (استغفر الله سبحانه وتعالى في كل يوم أو في كل ليلة مائة مرة).

وفي زماننا إذا ذهبت إلى عارف وقلت له علمني ذكراً وقال لك استغفر الله، تستصغر ذلك تتوقع شيء أعظم من هذا، فالإمام ﷺ مباشرة [وهذه الطريقة التي أتبعها، وحتى في هذه الأمور لابد أن نتبع منهج الفقهاء، حتى الإمام الصادق عليه السلام مارسه، تتعجب من كلمة استغفر الله] الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً إِلَى قَوْلِهِ- وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ﴾[٥]، وأنت تشكو قلة المال وقلة الولد. فأقول لك ذكراً لقوله عليه السلام كذا ولقوله تبارك وتعالى كذا.

لكن ينبغي أن نلتفت إلى أن علم خصائص الأسماء والصفات هو علم ثابت وقائم، كل اسم من أسماء تبارك وتعالى وكل صفة من صفاته لها خصائص، لكن هذا لا يعني أن يفتح الباب على مصراعيه، وأن يؤخذ كيفما كان. هذا بتعبير أستاذنا الشيخ الوحيد حفظه الله، هذا العلم الآن أقل من الكبريت الأحمر،

---

[٤] لم أعثر على مصدر.

[٥] عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: شَكَا الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ع أَنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ فَقَالَ لَهُ عَلِّمْنِي شَيْئاً قَالَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً إِلَى قَوْلِهِ- وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ.

والكبريت الأحمر يمثلون به على الشيء النادر، لابد إذا أردنا أن نأخذ فنأخذ من شخص يعرف خصائص هذه الأسماء.

ولذا نلاحظ في بعض الأدعية وفي بعض الأذكار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، في بعض الحاجات تقول (حسبي الله) وفي بعض الحاجات تقول (حسبي الله ونعم الوكيل) مرت معي رواية -لا أذكر مصدرها، أن الإمام عليه السلام علم شخصاً أن يقول حسبي الله لحاجة، فإذا خرج وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل، قال له: الله نعم الوكيل، ولكن لكن افعل كما أمرت. هذا يعني أن الأسماء والأدعية لها خصائص، وبالدرجة الأولى علمها عند النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. فلابد أن يؤخذ ذلك من مصدر موثوق.

أما الذي يشاع كما الآن وفي كثير من الأزمنة، بمجرد ما يحصل شيء نقلاً عن بعضهم، هذا نأخذ به ونعمل به، لكن من الناحية الشرعية لا بد أن يكون رجاءً، لا أن ينسب إلى الشارع المقدس على نحو قطعي، فمن هذا الذي علم هذا التعليم؟ على أي أساس؟ على أي مدرك؟ فهذا لابد أن نلتفت إلى مثل هذه الأمور.

تعرف في كثير من الأحيان، خصوصاً في هذا البعد، التعمية عند البعض تكون مقصودة، لو أن شخصاً ادعى أنه أعلم العلماء في الفقه، هناك وسائل نستطيع أن نعرف من خلالها أن هذا فعلاً أعلم العلماء في الفقه أم لا؟ واحد ادعى أعلم العلماء في الفلسفة ونعرف ما عنده في هذا الدكان الفلسفي ونختبره، نعرف عنده شطحات عقلية أو منطقية فنميز.

أما في هذا البعد، الكثير عندهم يبتني على التعمية، قرأت في بعض الكتابات للأسف الشديد، يفسر رواية على مصداق في غاية البعد، لا تأتي إلى ذهن عربي ولا إلى ذهن مؤمن، فضلاً عما يترتب عليها من مفسدة، لا أريد أن أذكر هذا الشيء لوجود تسجيل. ثم يقول للناس إذا سألوكم من أين أتيتم بهذا الأمر؟ فقولوا عن فلان -ويشير إلى نفسه- عن المعصوم. الكثير يتبعون مثل هذه الأمور.

ينبغي أن نحذر هذا الشيء، لابد أن نأخذ مثل هذه الأمور من موردها الصحيح، من العلماء الذين ساروا على نهج أهل البيت عليهم السلام بالمنهج الصحيح. وإلا الرواية المعروفة التي يقول بها الإمام الصادق

عليه السلام لبعض أصحابه، عندما جاءه وقال إنه عنده حاجة، فاخترع دعاء أو ذكراً، فقال له الإمام عليه السلام دعني من اختراعك[٦] وعلمه ما هو الشيء الصحيح.

هذه المسائل تكون في بعض الأحيان سيف ذو حدين، وينبغي أن نلتفت إليها.

فإذا وجدنا ذكراً موصى به من بعض العلماء الذين يحرز علمهم في هذا المجال يؤخذ به رجاء، أما أن يشاع من هنا وهناك بين الناس، من كل قريب وبعيد، هذا ليس هو ديدننا في التعاطي مع معارف أهل البيت عليهم السلام ومع المعارف الدينية.

[٦] الكافي (ط - الإسلامية)، ج٣، ص: ٤٧٦، عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ زِيَادٍ الْقَنْدِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي اخْتَرَعْتُ دُعَاءً قَالَ دَعْنِي مِن اخْتِرَاعِك ...)